نوور عيني

المحاضرة السادسة

الأقليات السوسيوثقافية

اولاً : الأقليات السوسيوثقافيّة

تعد دراسة الأقليات من الموضوعات الهامة لكثير من المجالات و التخصصات الاجتماعية و الجغرافية و السياسية و القانونية و السكانية و غيرها ...

ينطوي تاريخ كل أقلية على عناصر و سمات متميزة و خاصة بها تتضمن خصائص و مبادئ مشتركة في الجوانب الطبيعية والاجتماعية

الأمر الذي يؤدي إلى وجود شعب متعدد الاجناس فيخلق بالضرورة وضع أقلية بداخله وهنا قد يقوم تعدد الاجناس على عقائد قومية و ثقافية و دينية و عرقية و غيرها.

يرى البعض أن السمات والخصائص العامة للشعوب المتعددة الاجناس في ضوء ما تفرضه حدود الاغلبية الاكثر سلطانا والاعظم شأنا ونفوذا.

ولكن هذا الأمر ليس دائما صحيحا وينطوي على الكثير من الأحكام القيميّة لأنه ليس بالضرورة أن تكون الأغلبيّة هي صاحبة الشأن والنفوذ.

ويتضح ذلك مثلا في حالة قيام سلطة عنصرية تنتمي إلى أقلية ذات نفوذ في المجتمع كما حدث تاريخيا في حالة قيام الحكم العنصري في دولة جنوب افريقيا للأقلية البيضاء على حساب الأغلبية السوداء.

ان موضوع الأقلية يعتبر سلاحا ذا حدين فقد يصاحب وجود الاقلية في مجتمع ما حالة من الاستقرار الاجتماعي والتوازن البنائي.

وقد تكون مصدرا للقلاقل والتنافس والصراع وعدم التوازن الاجتماعي.

لقد لعبت كلّ من الهجرة والانتقال الثقافي وتطوّر وسائل الانتقال المرتبطة بالتطور التكنولوجي والغارات والغزوات العسكرية ، ادوارا هامة في ايجاد عدم تطابق لعناصر الإقليم الواحد والثقافة الواحدة وربما أيضا السلطة السياسية كما يقول لويس ورث.

توضح الانثروبولوجيا إن المجتمعات المتجانسة يكون لها القليل من الجماعات التي قد تحمل سمة التحامل وانه اذا وجد صراع أو عداء ما فانهما يتركزان على أفراد لا على فئات من الشعب .

من المسلم به اليوم إن تطور المجتمع القومي (الموحد) قد أصبح حقيقة رئيسية بعد أن كان حلما يراود بعض المجتمعات والشعوب.

جاء ذلك نتيجة لبسط السيادة على جماعات كانت منفصلة ومستقلة إقليميا أو اجتماعيا أو ثقافيا في الماضي، فضلا عن الرغبة العامة المشتركة في ايجاد امة متجانسة تسعى الى تقليل فجوة التعددية الثقافية، وهو الامر الذي ادى الى قيام علاقات بين الاغلبية والأقلية.

قد صور مارفن هاريس و تشارلس واجلي ذلك التطور السابق الذكر والمخالف لأسس المجتمعات القبلية بقولهما:

«ان عالم الفرد (الشخص) في المجتمعات البدائية يفتقر الى حد كبير لوجود البدائل، فالكلّ يتكلّم لغة واحدة ويمارس عادات واحدة وينتمي الى نفس الجذور الفيزيقية والسلاليّة والعرقيّة للمجتمع. ولهذا لا يحتوي التنظيم الاجتماعي البدائي على أي تعاون داخل وحدة اجتماعية واحدة ،والذين لا يرتبطون مع غيرهم بروابط القرابة او الزواج . "

إن الاهتمام بأوضاع وأحوال الأقليات في مقابل احوال الأغلبية تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الاجتماعي والحضاري للشعوب.

يؤكد مكاريني ان تلك الأقليات لازمها شعور بالانفصال عن القوميات التي دخلت معها وان هذا الشعور لم يكن من السهل ازالته لقرون عديدة .

أما هارولد لاسكي يرى انه مع نمو القوميات الأوربية فقد تطورت مشاكل جديدة للأقليات كنتيجة لانتشار موجات الاستعمار والغزو المتزايد الأمر الذي ادى الى تفاعل عناصر متباينة كالثقافة والدين والعرق في اطار سياسي عام وهنا واجهت الجماعات المسيطرة على مشاكل جديدة تتعلق بالسياسات الواجب اتباعها نحو جماعات الأقلية الذي ادى الى الإبادة والأستبعاد والتسامح والامتصاص في ازمنة وامكنة مختلفة.

ان اصل مفهوم «الأقليات القومية» قد ابتدأ من أوروبا حيث ظهور الجماعات القومية التي وجدت في مناطق معينة نتيجة لاستقرارها الطويل بها وان كانت تلك الجماعات قد فقدت سيادتها على تلك الأقاليم لصالح شعوب اكثر عددا تنتمي الى قوميات اخرى مختلفة .

وفي أحيان اخرى لم تعد جماعات الأقليات هذه تحتمل مناطقها الأصلية بل انتشرت بداخل انحاء الدولة او دولة ما مجاورة واصبحت تلك الجماعات فيما بعد ضمن رعاية هذه الدولة وتكون الحالة الأكثر شيوعا هي اقامة تلك الأقليات داخل حدود الدولة وتقوم بسن القوانين الخاصة بتنظيم الوجود السياسي للأقليات .

مع ظهور المشكلات المتعلقة بوضعية الأقليات جاءت الحاجة لتكوين «ظاهرة حماية حقوق الأقليات» وظهر ذلك منذ نشأة (الدولية الاشتراكيّة الأولى عام 1869م) حيث نادت الاشتراكية النمساوية بفكرة حماية حقوق الأقليات.

وقد استفاد من ذلك اليهود اذ كانوا يمثلون الأقليات الأكثر اضطهادا في دول أوروبا المسيحيّة قبل الحرب العالمية الأولى ثم لازمت تلك الحركة اليهودية الحركة الصهيونية ثم جاء بعد ذلك مبدأ «سياسة حق تقرير المصير» وتمثل مجتمعات اوربا الشرقية المثل الصارخ في وجود الأقليات الاجتماعية والثقافية والسياسية.

ولهذا فإن حق تقرير المصير لشعب ما، يستتبعه بالضرورة إعطاء الأقلية التي تعيش في وسط هذا الشعب ضمانات خاصة لحمايتها، وتدريجيا يحصل الشخص في نطاق الأقلية على نفس الحقوق والحريات على قدم المساواة مع أفراد الأغلبية.

تمثل مجتمعات اوربا الشرقية المثل الصارخ في وجود الأقليات الاجتماعية والثقافية والسياسية ويرجع ذلك الى كثرة ما تعرضت له تلك المناطق من غزوات في الماضي جاءت اليها من آسيا

فضلا عن اختلاطها بأجناس متباينة بعكس مجتمعات أوروبا الغربية التي حقّقت تجانسا واندماجا لشعوبها الصغيرة في ظل قومية كبيرة واحدة .

نرى في جميع المجتمعات أقليات اجتماعية ، فما هي الاقلية الاجتماعية و ما هي أشكالها و أهميتها و عوامل تشكلها

و علاقتها مع الاكثرية الاجتماعية ؟

و ما هي المميزات التي تتحلى بها الفئتين ؟

لكن من الصعب وضع مفهوم ثابت لأنواع الجماعات التي تدخل تحت مفهوم الاقلية ، و ذلك لعدة أسباب :

لكن من الصعب وضع مفهوم ثابت لأنواع الجماعات التي تدخل تحت مفهوم الاقلية ، و ذلك لعدة أسباب :

-تختلف النظرة للأقليّة بسبب اختلاف المفاهيم التي تحكم وجودها ، تبعا للجماعة التي تعيش تحت سيطرتها .

-تختلف النظرة ايضا تبعا لنوع العلاقة بينها و بين الاغلبية ، و يحكم هذه العلاقات الاختلاف في الثقافة و اللغة و العرق و غيرها .

-ان تحليل التفاعل القائم بين الأقلية و الاغلبية يتطلب الاهتمام بطبيعة البناء الاجتماعي و الاثار الناتجة عنه.

ثانياً : الاقليات الاجتماعيّة

و مع اختلاف الأسس التي تقوم عليها الاقليات فإن تعريف الاقلية يختلف تبعا لذلك ، و نستعرض أهم التعريفات المتناولة لمفهوم الاقلية :

أولا : «الاقلية هي بمثابة طائفة من الناس تجمع بينهم رابطة اللغة او الدين ، و يعيشون مع طائفة أخرى أعظم شأنا و أكثر عددا»

ثانيا : «الأقلية هنا هي مجتمع فرعي خاص يتصف بأنماط محددة في الاساليب المعيشية ، هي التي تميزه عن بقية المجتمع الكلي ، مما يجعله يعيش في صورة منعزلة و منفصلة أحيانا»

ثالثا : التعريف الاجتماعي للأقلية: «أنها جماعة اجتماعية فرعية توجد داخل جماعة أكبر يعيشان معا و يرتبطان معا بروابط مألوفة مثل الانتماء القومي و العرقي او الاثني ، و التوحد في الجنسية السياسية التي يتبعونها ، مع الاختلاف أحيانا إما في النواحي الدينية او بعض الصلات و الروابط الثقافية المتميزة»

رابعا : التعريف السيكلوجي للأقلية «الأقلية هي جماعة تشعر بأنها ذات وضعية اجتماعيّة ادنى ، و انها لا تتمتع بأي امتيازات أو حوافز مجتمعية ، و على هذا الأساس تشير الأغلبية إلى أنها الجماعة العليا ذات الوضع الاجتماعي الأرقى مرتبة من الجماعة او الجماعات الاخرى»

خامسا : المفهوم السياسي للأقلية «إن الأقلية عبارة عن فئة من الناس يشتركون معا في الاحساس بالاجحاف و عدم الحصول على حقوقهم السياسية ، و بالتالي الاحساس بعدم المساواة فيما بينهم وبين الآخرين»

يستند تعريف اللجنة الفرعية لالغاء و حماية الاقليات للامم المتحدة على أساس ان الاقليات جماعة تابعة داخل شعب معين

تتمتع هذه الاقليات بتقاليد وخصائص إثنية أو دينية أو لغوية تختلف بشكل واضح عن بقية السكان .

ترغب تلك الأقليات في دوام الحفاظ على تلك السمات والخصائص المميزة لها.

كان ذلك نابعا من مفهوم الأقلية الذي ساد المجتمعات الأوروبية في أثناء عصر النهضة الصناعيّة، حيث تشير الأقلية هناك إلى أنها جماعة من الناس يعيشون على أرض احتلوها منذ زمن.

يعرف العالم (لويس ورث)

«الأقلية بأنها جماعة من الناس تنفصل عن بقية أفراد المجتمع بصورة ما نتيجة احساسها بعدم المساواة مع الآخرين في بعض السمات العضوية أو الثقافية وتشعر تلك الجماعة بأنها عرضة للتفرقة من قبل الجماعة المسيطرة ذات الوضع الاجتماعي الأعلى والامتيازات الأكبر» .

الصفات المشتركة لدى الأقليات الاجتماعية عند (واجلي) و(هاريس):

1 - أن الأقليات الاجتماعية بمثابة أجزاء وعناصر خاضعة داخل مجتمع الدولة سياسيا.

2- تتمتع الأقليات بخصائص وسمات عضويّة وثقافيّة خاصة، وتعتقد أن الجماعات المسيطرة في المجتمع الذي تعيش بداخله الأقليات تحاول دائما التقليل من اهميتهاوقيمتها .

3- تحرص الأقليات الاجتماعية على تنمية المشاعر العضوية لدى أفرادها في حالة عدم تميزها بخصائص ثقافية أو بيولوجية واقعية وذلك عن طريق تنمية مشاعر الانتماء الوراثي لتلك الصفات عند الأجيال الجديدة .

4- غالبا ما تكون السمات والخصائص التي تتميز بها جماعات الأقليات مبعث شعور بالنقص والعجز لديها . الأمر الذي تكون ردودفعل عكسية، فتعمل جماعة الاقلية على تنمية شعورهم «بالذات» فيما بينهم

5 - يحرص أعضاء الأقليات الاجتماعية طواعية الى إقامة نظام من الزواج الداخلي فيما بينهم ، باعتبار ان ذلك هو الرافد الأساسي لبعث حياة الأقليّة من جديد.

اسئلة المحاضرة

السؤال الاول:

((تختلف الأسس التي تقوم عليها الاقليات))

اشرحى / اشرح العبارة السابقة بالتفصيل في ضوء دراستك لموضوع الأقليات الاجتماعية